منهج أبي المعالي الجويني في نقد الكتاب المقدس من خلال كتابه:

شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل

-دراسة وصفية تحليلية-

د. إلياس دكار

مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة-الجزائر

الملخص

تعرضت اليهودية والنصرانية قبل مجئ الإسلام إلى تحريف كبير، حيث كانت مسرحا للفوضى والعبثية من قبل رجالاتها. فلم يبق منها إلا النزر القليل من التوحيد، فلما جاء الإسلام بين أن هذه الكتب تعرضت للتحريف بالزيادة أو النقصان أو التبديل، وأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف، فقام المسلمون منذ عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– إل يومنا هذا بالدعوة إلى المنهج القويم والصحيح ألا وهو الإسلام، فانتشر انتشارا واسعا، إلا أن أعداء الإسلام لم يرضهم هذا الإنتشار الكبير والعالمي للإسلام، فقاموا بحملات شرسة ضده ، فألفوا الكتب الطاعنة في صحة القرآن، وأن الإسلام ما هو إلا هرطقات لا غير. فانبرى المسلمون للرد على مثل هذه الشبهات، ودونوا الكتب والرسائل في بيان بطلان عقائد الملل الأخرى، وانحراف كتبهم وخاصة كتب اليهودية والنصرانية والمتمثلة في التوراة والإنجيل. وكان من بين هؤلاء العلماء، إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في كتابه "**شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل**".

الكلمات المفتاحية: منهج، الجويني، نقد، التوراة، الإنجيل.

Abstract :

Judaism and Christianity before the advent of Islam were subjected to great distortion, where it was the scene of chaos and absurdity by its men. There is nothing left of them but a little uniformity, there is only a little left of Tawheed, and when Islam came showed that these books have been subjected to distortion and increase or decrease or switch, and that the Koran is the only book that has not been distorted, so Muslims have since the time of the Prophet - peace be upon him - to this day by calling for the correct way and correct method, which is Islam, spread widely, but the enemies of Islam did not satisfy them this large and global spread of Islam, they conducted fierce campaigns against him, , And that Islam is nothing but hieroglyphs, so Muslims turned to respond to such suspicions, and wrote books and letters in a statement to negate the doctrines of other boredom, and the deviation of their books, especially the books of Judaism and Christianity, represented in the Bible and the Bible. Among these scholars was: The Imam of the Two Holy Mosques; Abi Maali Al-Juwaini in his book: ” The healing of the exalted in the statement of what occurred the Torah and the Gospel of the switch”.

***Key words*: Method, Jouini, Criticism, Torah, Gospel.**

المقدمة

كانت الديانات الكبرى بما فيها اليهودية والنصرانية قبل بعثة النبي محمد –عليه السلام– مسرحا للفوضى والعبثية من قبل رجالاتها، فلم يبق من رسالة موسى وعيسى –عليهما السلام– إلا النزر القليل من التوحيد والشرائع الصحيحة بخليط من العقائد اليونانية والوثنية والرومية. فالتوراة ضاعت واندثرت بعد تعرض اليهود للاضطهاد والاستبداد والنفي والجلاء، والعذاب والتدمير على يد القائد الروماني تيطس، أما المسيحية فقد اختلفت وتفرقت إلى ثلاث فرق كبرى هي: النسطورية واليعقوبية والملكانية، واختلفوا في الأناجيل فكان يوجد أكثر من مائة إنجيل في القرن الثاني للميلاد، حيث لا تتفق هذه الأناجيل وتختلف اختلافا كبيرا بينها. واختلف لنصارى أيضا في طبيعة المسيح حتى قامت الحروب والقلاقل بينهم. إلى أن جاء الإسلام ببعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وأنزل القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان الرسالة الخاتمة، والنور المرسل للعالمين، فبين القرآن الكريم انحراف الرسالات السماوية السابقة، وتعرض كتبها المقدسة للعبث والتحريف من طرف الأتباع المزيفين ودعاهم للرجوع إلى الحق، وذلك ببيان المنهج القويم للتمييز بين الحق والباطل. فبدأت دعوة الإسلام في الجزيرة العربية، ثم انتشرت هذه الدعوة حتى بلغت الآفاق وكان شعارها في ذلك قوله تعالى:{ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**[1] وأيضا عدم الإكراه لاعتناق الإسلام بالقوة وشعارهم قوله تعالى:{ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**[2]، لذلك نجد الكثير من

1 – سورة النحل، الآية: 25.

2 – سورة البقرة، الآية: 256.

الناس يدخلون في دين الإسلام أفواجا منذ بعثة محمد - عليه السلام – إلى غاية يومنا هذا.

وكانت من بين أزهى عصور الإسلام قوة وازدهارا: الحضارة الإسلامية بالأندلس، ولكن أصحاب الباطل وأتباع الملل الأخرى –خاصة المسيحية واليهودية– خافوا من هذا الإنتشار السريع والكبير للإسلام ، فأرادوا محاربته بشتى السبل وكافة الأدوات، وقاموا بفعل ذلك. ومن بين هذه الطرق والأساليب، الكتابة ضد الإسلام، عن طريق تأليف الشبهات والتحريفات ضد القرآن والسنة النبوية، إلا أن هذه الشبهات كانت بعيدة كل البعد عن المنطق والعلم.

وكان من بين الذين كتبوا ضد الإسلام، "يوحنا الدمشقي" (676م–749م) في كتابه الشهير "الهراطقة" (De Haeresbius) الذي اعتبر الإسلام نوعا من المسيحية المهرطقة، وأيضا أسقف صيدا المسمى "ببولس الراهب الأنطاكي" (1200م–1300م) ، الذي قام بتأليف رسالة حرف فيها بعض آيات القرآن الكريم لتساند وجهة نظره القائلة بألوهية المسيح، ثم قام بإرسالها إلى بعض المسلمين ليبين لهم بأن الإسلام لا يصلح لغير العرب. ومن بين الكتاب أيضا، الكاتب اليهودي: إسماعيل بن النغريلة الأندلسي (993م–1056م)، الذي ألف كتابا يدعي فيه تناقض القرآن الكريم، وأيضا الراهب الفرنسي القديس هوف St.Hugh (1024م–1109م)، كبير رهبان دبير كلوني (Cluny)، الذي أرسل إلى المقتدر بالله (حاكم سرقسطة) يحثه فيها على ترك دينه واعتناق المسيحية، وغير هؤلاء كثير.

لذلك كان من الضروري على العلماء المسلمين الرد على مثل هذه الإتهامات والأباطيل والشبهات، فانكبوا على دراسة الكتب المقدسة لمخلف الديانات وخاصة اليهودية والنصرانية –التوراة والإنجيل– وألفوا فيها كتبا ورسائل للرد على تخاريفهم وانحرافاتهم، ودحض شبهاتم حول الإسلام، ونقد كتبهم وبيان وقوع التحريف والتزييف فيها. ومن بين هؤلاء العلماء الجاحظ بن عمرو(159هـ–255هـ) في رسالته الشهيرة "الرد على النصارى"، والقاضي عبد الجبار(359هـ–415هـ/969م–1025م) في كتابيه "تنزيه القرآن عن المطاعن"، "تثبيت دلائل النبوة"، وأيضا ابن حزم

الأندلسي(384هـ-456هـ/964م-1094م) في كتابه المشهور "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وابن تيمية(661هـ-728هـ/1263م-1328م) في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وأيضا أبو البقاء صالح بن الحسين تقي الدين الجعفري المصري(581هـ-688م) في كتابه الشهير" تخجيل من حرف التوراة والإنجيل"، وإمام الحرمين أبي المعالي الجوني الذي يبين فيه بطلان عقائد النصارى وتحريف كتبهم، فما هو رأي الكاتب في الكتاب المقدس عند النصارى؟ وما هي المناهج الأساسية التي اتبعها لنقد ودحض عقائد وكتب النصرانية؟.

المحور الأول: التعريف بأبي المعالي الجويني

أولا- عصره

من المعروف عند علماء التاريخ، أن العصر الذي يعيش فيه المؤلف له دور كبير في إبراز شخصيته وحياته وتكوينه، لذلك وجب التنويه على العصر الذي أثر على الكاتب من النواحي: السياسية، العلمية والإجتماعية.

والفترة التي عاش فيها إمام الحرمين أبي المعالي الجوني هي ما بين القرنين الرابع والقرن الخامس للهجرة.

1- الحالة السياسية

تتميز أحداث القرن الخامس من الناحية السياسية بأن شطره الأول كان تكملة لأحداث القرن الرابع الهجري، ثم تغير شطره الثاني فكان مقدمة لظروف القرن الذي يليه، ولذا فإن الحديث على النصف الأول من القرن الخامس يقتضي أن يكون مقرونا مع القرن الرابع.

بلغت الدولة الإسلامية الذروة السياسية والإدارية في نهاية القرن الثاني الهجري، في عهد الرشيد والمأمون، وحافظت – غالبا – على البقاء في القمة خلال القرن الثالث الذي شهد عمليات المد والجزر؛ فانفصلت بعض الأقاليم والأقطار، وتناوب على السلطة خليفة قوي ثم خليفة ضعيف، وظهرت الدولة الطولونية بمصر، والصفارية في سجستان، والطاهرية في فارس، والساسانية فيما وراء النهر، والأغالبة والأدارسة في

شمال إفريقيا، بالإضافة إلى الدولة الأموية في الأندلس، وكانت بعض الدول والأقطار تتراجع ثم تنضم إلى الدولة الأم في بغداد، لتعود إلى هيبة الخلافة من جديد.[1]

ثم تسرب التصدع الحقيقي في القرن الرابع الهجري، وحل الضعف والتفتت فيها، وانفصل أكثر حكام الولايات عن مركز الخلافة، واستقلت أكثر الأقطار، ووجهت جيوشها وقواتها ضد الخلافة العباسية أحيانا، وللتقاتل فيما بينها أحيانا أخرى. وأهم هذه الدول هي: الفاطميون في مصر، والحمدانيون في حلب والموصل، والبويهيون في فارس والعراق، والغزنويون في الأفغان والبنجاب وما وراء النهر، ثم ظهر في منتصف القرن الخامس السلاجقة فيما وراء النهر وفي فارس ثم بغداد والشام.[2]

بالإضافة إلى هذا التصدع السياسي في القرنين الرابع والخامس، يضاف إلى ذلك تلك الحروب المشتعلة بين الدول الإسلامية فيما بينها، أو الدول الإسلامية وبين الروم البيزنطيين، فلم تهدأ أوارها ولم تقف سنة من السنين، وكانت الحروب سجالا بينهم حسبما تكون الدولة الإسلامية أو الدولة البيزنطية في حال قوة وهدوء ونفوذ واستقرار داخلي، كما يضاف إلى ذلك الحروب الداخلية بين هذه الدول والإمارات فيما بينها، والثورات والحروب مع الفرق المتعددة داخل الأقاليم؛ كالقرامطة والمعتزلة والخوارج والإسماعيلية والفاطمية والباطنية.[3]

وباختصار فإن الدولة الإسلامية الكبرى قد انحلت في القرن الرابع الهجري، وتفتت إلى دول صغرى، واستمر هذا الوضع إلى القرن الخامس الذي عاش فيه إمام الحرمين الجويني، وبعد موته بقليل توجه الصليبيون نحو الشرق، ووضعوا أقدامهم في أنطاكية لينتقلوا منها إلى المدن والبلاد الأخرى.[4]

---

1 – الزحيلي محمد، الإمام الجويني :إمام الحرمين، سلسلة أعلام المسلمين، ط5 ، دار القلم، دمشق،(1412هـ–1992) ، ص :16.

2 – المرجع نفسه، ص: 17.

3 – الزحيلي محمد، المرجع نفسه، ص: 24.

4 – الخضري محمود بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: الدولة العباسية، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2003م، ص: 384.

وتولى الخلافة في عصر الإمام الجويني خليفتان فقط هما:

القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله، الذي ولي الخلافة بعد أبيه القادر بالله أحمد بن إسحاق، بعهد منه، وكان سلطانا ضعيفا أمام مكالب القواد، ولم يبق للدولة والخليفة هيبة أما الجند وقطاع الطرق واللصوص الذين سرقوا دار الخلافة سنة 422هـ.

والمقتدي بأمر الله، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم سنة 467هـ، وكان قوي النفس عظيم الهمة، مقداما شجاعا، صائب الرأي مشجعا للعلم ونشر الحضارة والعمران والتقدم وفتح المدارس.[1]

وكان نفوذ السلاجقة واضحا في نيسابور وخراسان في عهد الجويني، وكانت الحرب سجالا بين السلاجقة والبويهيين وانتشرت الفتن الدينية والتعصب وملاحقة العلماء والفقهاء، مما اثر على الجويني

ودفعته للهجرة عن بلده، والرحلة إلى بغداد ومكة والمدينة للدراسة والتدريس.[2]

2- الحالة الإجتماعية

إن الحالة السياسية تنعكس مباشرة على الحياة الإجتماعية، وتؤثر فيها تأثيرا بارزا، حيث كانت الحياة الإجتماعية في الدولة العباسية عامة، وفي بغداد خاصة سيئة في كثير من النواحي، فالأمن يكاد يكون مفقودا

في غالب الأحيان، والفوضى والفساد يعبثان في جنبات بغداد، وما حولها بظهور حركة العيارين الذين هاجموا بغداد عام 316هـ، وعاثوا فيها فسادا، والقرامطة يمارسون أعمال النهب والسلب، والقتل والغصب، في بلاد الشام، ويهددون مصر معها.[3]

وكان المجتمع يتأف من طبقتين: طبقة الخاصة، وطبقة العامة، تشمل الطبقة الخاصة؛ أصحاب الخليفة وذوي قرباه، ورجال الدولة البارزين، وتشمل الطبقة العامة؛ سواد الناس من باقي أفراد الشعب وسائر المجتمع.[4]

---

1 - المرجع نفسه، ص: 399.

2 - الزحيلي محمد، الإمام الجويني: إمام الحرمين، ص: 25.

3 - أمين أحمد، ظهر الإسلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013، ج1، ص: 80.

4 أمين أحمد، ضحى الإسلام، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013، ج1، ص: 17.

وكان الشعب يتركب من جنسيات مختلفة، وقوميات متعددة، كالعرب والأتراك والفرس والروم والأكراد والهنود، وعلى الرغم من أن الإسلام لم يفرق بين الشعوب والأمم، وجعل تفاضلهم على أساس الإيمان والتقوى فقط، إلا أن بعض النعرات القومية قد ظهرت وبرزت بشكل واضح في زمن العباسيين. ولكن هذا التمايز والتفاوت والعنصرية كانت منحصرة في رجال الحكم والجيش والولاة، ومن سار في ركبهم، ولم يمتد إلى أفراد الشعب وبقيته، بل كان المعيار هو العلم والعمل.[1]

وكان الترف المادي والبذخ والإسراف كثيرا في العصر العباسي، وخاصة في قصور الخلفاء والقواد والحكام، بينما ظهرت علائم البؤس والفقر والظلم والعدوان على فئات أخرى.

وكان المجتمع يضم بين جنباته أهل الذمة من اليهود والنصارى، وكانوا يمارسون الحرية الدينية، ويتمتعون بالتسامح الديني، ويشاركون في جميع الأعمال العلمية والإجتماعية، ويتولون مناصب بارزة، ويصلون مراكز عالية.[2]

وفي العصر العباسي انتشر الغناء ومجالس الطرب والموسيقى والترف في القصور وردحات العواصم، وتفشت الرذيلة وانتشرت الحانات والخمور، وانحلت الأخلاق، في حين كان الناس يلتفون حول العلماء العاملين، ويقدمون لهم أسمى آيات الإحترام والتقدير والإجلال، ورفعوا مكانتهم وتقربوا إليهم، فكانت مكانة العلماء سامية ورفيعة على الصعيدين الرسمي والشعبي.[3]

3- الحالة العلمية

على الرغم من الوهن الذي أصاب الدولة العباسية في القرنين الرابع والخامس، إلا أن الثقافة والحضارة والعلم والتعليم بقيت شامخة الأنف عالية الرأس، واستمر العلماء يجوبون الأرض، ويعلمون الناس؛ فالفقه الإسلامي بلغ مرحلة النضج والكمال في هذين القرنين، واستقرت المذاهب وقام الفقهاء في كل مذهب بتدوين الأحكام، وتقعيد

1 أمين أحمد، ظهر الإسلام، ج1، ص: 83.

2 المرجع نفسه، ج1، ص: 88.

3 الزحيلي محمد، الإمام الجويني: إمام الحرمين، ص: 29.

القواعد وتأصيل الأصول، كما بلغت الترجمة أوجها، ونقلت الثقافات القديمة إلى اللغة العربية والبلاد الإسلامية، وتقدمت العلوم المختلفة، كالطب والفلسفة والرياضيات والكيمياء، وظهر النوابغ في كل فن، كابن سينا والغزالي زالفارابي، ووصل الأدب إلى القمة، وانتشرت النوادي الأدبية وأندية الشعر في المحافل العامة والخاصة.[1]

ويرجع السبب إلى هذه النهضة العلمية والثقافية إلى العوامل التالية:

- دعوة الإسلام إلى العلم والتعلم بمختلف ميادينه، ورفعة مكانة العلماء، مما جعل العلم غاية في حد ذاته، دون أن يرتبط بالدولة والخلافة ورجال الحكم.
- اتجاه الدول المرتبطة بالخلافة، أو المستقلة عنها إلى تشجيع العلم والعلماء، لتوطيد أركانها وجذب الناس إليها، ومباراة ومنافسة غيرها.
- الإختلاف المذهبي للدول والإمارات، فكانت كل دولة تتسابق مع الدول الأخرى في تشجيع العلم والعلماء لنشر آرائها الخاصة، ومذاهبها الفكرية والدينية.[2]

لذلك بلغت معظم العلوم أوجها في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتقدم الفقه والحديث والرياضيات والفلك والطب والجبر والهندسة والفلسفة، وبرز فطاحل العلماء والأئمة الكبار والأدباء المشهورين، وكان لهذه الظاهرة العلمية أثرها في حياة إمام الحرمين، وتكوين ثقافته، واتساع أفقه دراسة وبحثا وتأليفا.

ثانيا- حياته

1- اسمه ونسبه

هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني ثم النيسابوري، أبو

المعالي، ولد (بجوين)[1] في محرم سنة 419هـ، ثم رحل إلى بغداد وأقام بها مدة، ثم قصد مكة إثر فتنة وقعت له ببغداد[2]، ثم رحل إلى المدينة وأقام فيها فترة من الزمن،

---

1 العش يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1982، ص: 167.

2 المرجع نفسه، ص: 169.

يدرس فيها ويفتي الناس، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير (نظام الملك) المدرسة النظامية فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء.[3]

وتذكر التراجم وغيرها أربعة ألقاب للجويني هي:

الأول– إمام الحرمين، وهو أشهرها، وذلك مجاورته الحرمين، مكة والمدينة.

الثاني– ضياء الدين، ولقب به لأنه أنار الطريق للمدافعين عن أهل السنة في الرد على الفرق الضالة.

الثالث– فخر الدين، لأنه كان فخرا للإسلام، ورفع الله به كلمة الحق، وأذل به كلمة الباطل.

الرابع– ركن الدين، وهذا مفهوم من لفظه.[4]

2– منزلته العلمية

نشأ الجويني في بيئة علمية؛ حيث كان أبوه إمام عصره في نيسابور، وكان جده ذا مكانة مرموقة في جوين، وكان عمه صوفيا محدثا، ومن بين شيوخه: والده أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني، وأبو القاسم الإسفراييني، أستاذه في علم الكلام، وأبو عبد الله الخبازي، شيخه في القراءات، وفضل الله بن أحمد بن محمد الميهني، والقاضي حسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروروذي، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب

---

1 جوين: من نواحي نيسابور، يسميها اهل خراسان (كوبان) فعربت فقيل جوين، وقيل إن جوين اسم أحد أمرائها سميت به، ونسب إليها كثير من الأئمة و العلماء. ونيسابور اليوم تقع في شمال إيران، ونسبة الجويني إلى جوين لولادته فيها، ونسبته إلى نيسابور لإقامته وتوليه التدريس فيها لفترة طويلة الزمن.[الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط1، دار صادر، بيروتن 1996، ج2، ص: 192-193].

2السبكي عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط2، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، (1413هـ/1992م)، ج3، ص: 389- 393.

3 الزبداني عمر أنور، السياسة الشرعية عند الجويني: قواعدها ومقاصدها، ط1ن دار البشائر الإسلامية، بيروت، (1432هـ/2011م)، ص: 37.

4 ابن خلكان أحمد بن محمد، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1ن دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1429هـ/1998م)، ج2، ص: 80؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص: 280.

الحلية، وغيرهم. وتتلمذ على الجويني على عدد كبير من العلماء أشهرهم: الغزالي، والكيا الهراسي، والخوافي، وغيرهم كثير، :حيث قال ابن كثير:" وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو من ثلاثمائة رجل، وتفقه به جماعة من الأئمة".[1]

وقد وصفه علماء عصره بصفات تين منزلته العلمية، فالمجاشعي يقول عنه:" ما رأيت عاشقا للعلم مثل هذا الإمام، فإنه يطلب العلم للعلم "[2]، أما السبكي فيقول في حقه:" ولا يشك ذو خبرة أنه كان أعلم أهل الأرض بالكلام والأصول والفقه، وأكثرهم تحقيقا، بل كان الكل من بحره يغترفون وإن له من الحقوق في الإسلام، والمناضلة في علم الكلام عن الدين الحنيفي ما لا يخفى على ذي تحصيل"[3].

3- مؤلفاته

أما مؤلفاته فكثيرة ومتعددة التخصصات ولكننا نورد أهمها كمايلي:

- ❖ الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الإعتقاد.
- ❖ لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة.
- ❖ العقيدة النظامية.
- ❖ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل(وهو كتابنا الذي وقع عله الإختيار و الدراسة).
- ❖ البرهان في أصول الفقه.
- ❖ رسالة في التقليد والإجتهاد.
- ❖ نهاية المطلب في دراية المذهب.
- ❖ غياث الأمم في التيات الظلم.
- ❖ الكفاية في الجدل.

---

1 ابن كثير إسماعيل بن عمر، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ط1، دار المنار الإسلامي، بيروت، 2004، ج1، ص: 447؛ ابن قاضي شهبة أبو بكر بن أحمد، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ج1، ص: 237.

2 السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج5، ص: 180.

3 السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج5، ص: 169.

4- وفاته

تجمع كتب التراجم على أن وفاة الجويني كانت في الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة 478هـ، ودفن بنيسابور.[1]

المحور الثاني: دراسة الكتاب

1- اسم الكتاب

اسم الكتاب هو (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل)، وقد نص عليه المؤلف في كتابه بعنوان مختصر هو (شفاء الغليل في بيان وقوع التبديل) وألفه سنة 20 من ذي القعدة 692هـ بالقاهرة.[2]

2- موضوع الكتاب

يعد كتاب شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، من بين أهم الكتب التي ألفت من طرف العلماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس بعهديه، حيث يبين فيه أن التوراة الموجودة اليوم بين أيدي اليهود زالنصارى محرفة، وغير موحى بها، وإنما كتبها عزرا بعد فتنتهم مع نبوخذ نصر، وأن هذه النسخة قد كتبها عزرا قبل بعثة المسيح – عليه السلام – سنة 545م، وبالتالي فالتحريف اللفظي والمعنوي قد حصلا في التوراة والإنجيل.[3]

كما ذكر الجويني أن نسخ التوراة المنسوبة إلى موسى – عليه السلام– ثلاث نسخ:

أ- النسخة العبرانية، وهي التي بأيدي اليهود الآن.

ب- النسخة التي بأيدي النصارى ولم يبين الجويني نوعها، وقد اصطلح علماء مقارنة الأديان على تسميتها بالتوراة اليونانية أو السبعينية.

ج- النسخة السامرية.

1 الزبداني عمر أنور، السياسة الشرعية عند الجويني: قواعدها ومقاصدها، ص: 42.

2 الجويني أبو المعالي، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (1409هـ/1989م)، ص: 63.

3 الجويني أبو المعالي، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، ص: 36.

كذلك يذكر الجويني تحريف الإنجيل، ويورد أمثلة نصية من الأناجيل نفسها، مع بيان تناقضها الكبير والظاهر الذي لا يخالجه شك بأن أيادي كثيرة قد لعبت به.

وأما أهم موضوعات الكتاب فقد جاءت كالآتي:

أولا- الرد على ادعاء اليهود والنصارى بأن الكتاب المقدس غير محرف، وأن التبديل لم يقع فيهما، وكيف أن العلماء الكبار عندهم لا يرون ذلك.

ثانيا- بيان تحريف التوراة وأن مصدرها ليس إلهيا وإنما مصدر كتابتها هو عزرا.

ثالثا- المقارنة بين التوراة العبرانية والتوراة اليونانية في أعمار الآباء الأوائل وبيان التناقض الصريح فيما بينها.

رابعا- بيان الإختلاف الكبير في نسب عيسى –عليه السلام- بين متى ولوقا مع أنه ولد من غير أب.

خامسا- في أنّ المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وصلب، وبيان الإختلاف في صياح الديك والتناقض بين الأناجيل وقت صلب المسيح بزعمهم.

سادسا - بيان الإختلاف في ركوب عيسى – عليه السلام-.

3- منهج المؤلِّف في الكتاب

أولا- استدلال الجويني بالقرآن الكريم بحيث تكون له منهجاً ونبراساً فيما يريد إثباته من القضايا أو نفيها، حيث نجد أن إمام الحرمين يستدل كثيرا بالآيات القرآنية التي تدعم نقده لليهود والنصارى، والتي تدل على ضلالهم وتحريفهم للكتاب المقدس، مع علمهم بأنه محرف ولكنهم لا يريدون الإعتراف بذلك، وإنما يحتجون بحجج واهية لا يقبلها العقل السليم، حيث يقول:(إن القرآن الكريم يبين بأن التحريف قد مس التوراة والإنجيل، إلا أن اليهود والنصارى يأبون ذلك، وانتصروا بحجج واهية)[1] ، ينطبق عليها قوله تعالى:**{كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا}**[2].

---

1 الجويني أبو المعالي، المصدر نفسه، ص: 34.

2 النور: 39.

وكذلك يتعجب الجويني من اليهود والنصارى، كيف أنهم لا يعترفون بتحريف كتبهم مع العلم بأن طوائفهم تشتمل على علماء وعقلاء وزهاد وعباد[1]، واستدل بقوله تعالى:{ **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون لأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**}[2].

ثانيا– أنه لم يبدأ في تأليف هذا الكتاب حتّى قرأ التوراة والأناجيل وبقية أسفار العهد القديم والعهد الجديد قراءة متأنية متفحصة عدّة مرات، وكانت طريقته في النقل من تلك الأسفار أن منها ما نقله بنصه، منها ما أوجزه لركاكة نصّه وقد كان استدلال المؤلِّف بهذه النصوص لإلزام اليهود، والنصارى من باب التسليم لهم بصحة كتبهم المقدسة لديهم، ومن باب التنزيل في الجدال مع الخصم.

ثالثا– إنّ موضوع الكتاب هو الرّدّ على اليهود والنصارى، وبيان التحريف اللفظي بالتبديل، وهو ما أكده الجويني حيث يتخلص منهجه في الرّدّ على اليهود بالآتي:

أ – إثبات جواز النسخ عقلاً ونقلاً من التوراة وبقية أسفار العهد القديم، وإبطال شبههم في أبدية شريعة التوراة وعدم نسخها من كتبهم المقدسة لديهم، وأن هذه التوراة ليست هي توراة موسى التي ألهم بها، لأنه بع انعدامها واختفائها، كتبها عزرا بالإلهام مرة أخرى –كما يدعون– وفيها من التناقض ما لا يحصى، وبالتالي جاز القول بأن غلط عزرا في هذا السفر قد يكون مثله في الكتب الأخرى، ثم بين الجويني بأن تبديل عزرا لما في التوراة كان مقصودا منه، وذلك ابتغاء الرئاسة والسلطة والشهرة، حيث يقول: (ومن أحاط بتواريخ العالم خبرا، وتتبع غرائب قصصها، ظهر له بأن عزرا من أجل حبه للرئاسة، فعل أفعال السفهاء، الخالعين ربقة العقل والدين.[3]

ب – ذكر اختلاف اليهود والنصارى، وأن كلّ فرقة تضلِّل الأخرى وتبدِّعها وإن من فضائحهم فسادهم وكفرهم بما هو ثابت عنهم في توراتهم وكتبهم المقدسة لديهم، وبيان هذا الإختلاف في مسألتين أساسيتين هم:

---

1 الجويني أبو المعالي، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، ص: 35.

2 السجدة: 23–24.

3 الجويني أبو المعالي، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، ص: 37.

1- مسألة إرسال المسيح؛ حيث زعم النصارى بأن نصوص التوراة شاهدة على إرسال المسيح في الزمن الذي أرسل فيه، وما بأيديهم من نسخ التوراة شاهدة لهم بصحة ما زعموه، ويزعمون أن اليهود بدلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عنادا، وحذرا من الإعتراف بإرسال المسيح.

أما اليهود فيزعمون بأن النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ، وأن المسيح إنما يأتي في آخر الدزر السابع، وما بأيديهم من نسخها موفق لما ادعوه.[1]

فقد أجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل، وكل طائفة تجعله صفدا في عنق الأخرى.

2- التناقض بين النسخ التوراتية في أعمار البشر؛ حيث قارن الجويني بين الأرقام الهائلة المختلفة بين التوراة العبرانية والسامرية وبين التوراة اليونانية، فوصل إلى أن الإختلاف ليس هينا وإنما يصل إلى أكثر من مائة سنة.

فمثلا: عمر آدم كان 130 سنة عندما ولد له شيث في الرواية العبرانية، ولكن كان عمره 230 سنة في الرواية اليونانية.

وعمر شيث كان 105 سنين لما ولد له أنوش في التوراة العبرانية، في حين أن التوراة اليونانية تذكر بأنه كان لديه 205 سنة.[2]

وهكذا دواليك، وهذا جدول أورده إما الحرمين الجويني، يوضح فيه التناقض الكبير والإختلاف في الأرقم والأعمار بين الروايات التوراتية، إذ يعتبر الجويني بأن هذا الإختلاف يعد من قبيخ وغرابة الإختلافات بين الطائفتين، في أمر ليس من قبيل المظنونات التي تختلف باختلاف العلماء، الناشئة عن اختلاف مراتب الظنون، بل كل طائفة تزعم أن ما بيدها هو المنزل على موسى –عليه السلام– وهذا عين التبديل والتغيير.[3]

الأسماء	التوراة العبرانية	التوراة السامرية	التوراة اليونانية

1 المصدر نفسه، ص: 37-38.

2 المصدر نفسه، ص: 38.

3 المصدر نفسه، ص: 42.

آدم	130	130	230
شيث	105	105	205
أنوش	90	90	190
قينان	70	70	170
مهللئيل	65	65	165
يارد	162	62	262
حنوك	65	65	165
متوشالح	187	67	187
لامك	182	53	188
نوح	600	600	600
المجموع	**1656**	**1307**	**2262**
سالم	2	2	2
أرفكشاد	35	135	135
فينان	—	—	130
شالح	30	130	130
عابر	34	134	134
فالج	30	130	130
رعو	32	132	132
سروغ	30	130	130
ناحور	29	79	79
تارح	70	70	70
المجموع	**292**	**942**	**1072**

أما منهجه في الرّدّ على النصارى فكالآتي:

أ- ذكر النصوص الأناجيل الدالة على نجاة المسيح من القتل والصلب، وأنّ المصلوب هو مَنْ ألقي عليه شبه المسيح.

ب- ذكر نصوص الأناجيل التي غلط النصارى في فهمها وفي نسبة المسيح إلى الألوهية، والاستدلال على تفسيرها بنصوص أسفار العهد القديم والعهد الجديد.

ج- نقد الأناجيل المحرفة ببيان انقطاع سندها وعدم تواتر رواتها، ثم ببيان مواطن التناقض والتكاذب والتهافت في الأناجيل ومصادقة بعضها بعضا.

د- بيان الغلط في نسب يوسف النجار بين متى ولوقا والرد عليم.

كما بيّن المؤلِّف بالأدلة العقلية استحالة العقائد النصرانية وعدم معقوليتها ورفض العقل الصحيح والفطرة السليمة لها، ومخالفتها للواقع المعاين المحسوس لأمر المسيح، وتناقضها مع الأناجيل.

كما ناقش المؤلِّف أدلة النصارى وشبهاتهم حول ألوهية المسيح وبنوته لله، وبيَّن بطلان ما استدلوا به وأوضح الحقّ الذي يجب أن يعتقدوه.

رابعا- وخلاصة القول في منهج المؤلِّف أنه جمع مناهج من سبقه من علماء المسلمين في الرّدّ على اليهود والنصارى ويتركز في الآتي:

أ - **المنهج التفسيري:** يقوم هذا المنهج على افتراض صحةالتوراة و الأناجيل، ثم تفسير الألفاظ التي زلّ فيها اليهود والنصارى وبيان ما تحتمله من المعاني الصحيحة بشواهد من الأناجيل والتوراة وغيرها. مثل الألفاظ التي توهم ألوهية المسيح وتفسيرها تفسيرها يخرجها عن معناها الحرفي، ثم مقابلتها بعبارات وألفاظ أخرى من الأناجيل ذاتها تدل على إنسانيته ورسالته لتنهار دعواهم في ألوهية المسيح، وبانهيارها تنهار بقية الدعاوى المسيحية في الاتحاد الأقنومي، وفي دعوى القتل والصلب وعقيدة الفداء.

ويتميز هذا المنهج بقاعدتين هما:

- إن النصوص موضع التفسير يجب أن تحمل على ظاهرها، وتؤخذ بمعناها الحرفي إذا كان هذا الظاهر لا يصادم العقل، أما إذا كان مصادما للعقل فإنه يجب اللجوء إلى تأويلها، للإقتناع حينئذ بأن ظاهرها غير مراد.

– أن الدلائل إذا تعارضت، فدل بعضها على إثبات حكم وبعضها على نفيه فلا نتركها متعارضة إلا إذا أحسسنا من أنفسنا العجز، لاستحالة إمكان الجمع بينها، وامتناع جمعها متضافرة مرة واحدة.

ب – منهج المحدِّثين: يقوم هذا المنهج في نقد الأناجيل على نفس الأسس التي ارتضاها علماء الحديث، لتوثيق أو تضعيف الأحاديث المروية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من حيث مراعاة قواعد الجرح و التعديل، ومن حيث قواعد الجمع بين الأحاديث التي تبدو متخالفة أو متعارضة في ألفاظها أو معانيها.

ولقد استخدم المؤلف هذا المنهج لوضع الأناجيل موضع الشك، عن طريق رفع الثقة برواته، إما لأن عددهم في البداية كان قليلا لا يبلغ حد التواتر اللازم لبناء الثقة بمضمونه، وإما لأن النقلة لم يكونوا عددا لا يؤمن تواطؤهم على الكذب، وإما للأمرين معا.

ج – المنهج العقلي: يبيّن هذا المنهج لامعقولية عقائد النصارى وتناقضها، وذلك من خلال عقائد التجسد والتثليث والخطيئة والصلب والفداء، وقرارات المجامع المسكونية المقدسة، وآراء فرق النصارى الثلاث في طبيعة المسيح وحقيقة الإتحاد بين اللاهوت والناسوت.

د– المنهج النقدي المقارن: ويكون عن طريق مقابلة النصوص المختلفة من الكتب المقدسة في واقعة ما أو موضوع معين، ثم المقارنة بينهما من حيث الأصالة، والمضمون، ثم الخروج باستنتاجات تبين التناقض الصارخ بين الروايات، وقد أورد الجويني ثلاث أمثلة على ذلك، هي:

1– قضية صياح الديك: فمرقص يذكر بأن المسيح ليلة الأخذ للصلب قال لبطرس، بأنه سينكره ثلاث مرات قبلل أن يصيح الديك مرتين[1]، وقد وقع ذلك. في حين

---

1 مرقص: 14/ 30.

أن رواية لوقا تذكر بأن المسيح قال لبطرس:[لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات بأنك تعرفني][1].

فبين بأن هذا التناقض الصارخ يدل على تبديل وتحريف الكتاب المقدس، وعدم عصمة كتابه من الخطأ.[2]

2- قضية ركوب عيسى على أتان أم جحش أم كلاهما: فمتى صرح بأن عيسى قد ركب على أتان وجحش معا[3]، أما مرقص ولوقا فقد صرحا بأنه ركب جحشا فقط[4].

3- قضية اللصين اللذين صلبا مع المسيح: حيث ذكر متى ومرق بأنها كانا كافرين به وأنهما كانا يسبانه

ويعيرانه[5]، أما لوقا فقد ذكر بأن أحدهما كان مؤمنا به والآخر كان كافرا يسبه[6].

ومن خلال هذه النصوص يبين الجويني بأن الأناجيل قد تعرضت للتحريف والتبديل، وأن التوراة والإنجيل مليئة بالأغلاط والإنحرافات.

الخاتمة

في خاتمة هذا المقال، نميز أن منهج إمام الحرمين أبو المعالي الجويني يعد منهجا ثريا جدا في ميدان دراسة الأديان المقارنة، وأيضا في مجال نقد الكتب المقدسة، وخاصة الأناجيل أو ما يسمى بالعهد الجديد.

أيضا بعد الدراسة لهذا الكتاب العظيم، نجد بأنه مصدر مهم لا يستغنى عنه في مجال مقارنة الأديان ونقد الكتب المقدسة، بل نجد الكثير من علماء المسلمين قد استعانوا به في تآليفهم في ذات المجال، مثل: ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ورحمة الله الهندي وغيرهم من العلماء.

---

1 لوقا : 24/22.

2 الجويني أبو المعالي، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، ص: 56.

3 متى: 21/ 2-7.

4 مرقص: 11/2-7؛ لوقا: 19/ 29-35.

5 متى : 27/ 38-44؛ مرقص : 5/ 27-32.

6 لوقا : 23/ 33-44.

كما نستنتج من خلال تحليل كتاب "شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل" الإطلاع الواسع على الكتاب المقدس للمؤلف أبي المعالي الجويني، والدراسة العميقة لمحتوياته، الذي قام بتفنيد دعوى ألوهية الكتاب المقدس، والبنوة والألوهية للمسيح بشكل لا يرد ولا يسد، من إبطال هذه التخريفات والتحريفات في الأناجيل، عن طريق بيان مواطن التناقض، والتضاد بين الأناجيل.

نجد أيضا استخدام المؤلف للعديد من المناهج في نقد الكتاب المقدس، وتنوعها بطريقة عجيبة؛ من استخدام المنهج العقلي المنطقي في رد التناقضات، والمنهج التفسيري لاستخراج مواطن التأويل المزيفة، وأنها لا يمكن أن تؤول وإنما تؤخذ على ظاهرها كما هي، وأيضا استخدام منهج المحدثين من دراسة المتن والسند، والذي أبطل نسبة الكتاب المقدس إلى أولئك المؤلفين، وتدخل آخرين في كتابته هذه الأناجيل وعلى رأسهم "عزرا".

وباعتبار المؤلف مسلما، فإنه انتهج أسلوب القرآن في الدعوة إلى الإسلام، وبيان تحرف الكتب المقدسة، وذلك من أجل دعوة غير المسلمين للإسلام، وتثبيت العقيدة الإسلامية بالنسبة للمسلمين، وإلجام كل من سولت له نفسه الهجوم على القرآن الكريم.

وختاما، نجد بأن منهج المؤلف وهذا الكتاب يجب أن يدرس في الجامعات والمعاهد المتخصصة في العقائد ومقارنة الأديان والدعوة إلى الإسلام، لأنه منهج متميز في حماية المسلمين من الزيغ والتيه والإنحراف عن الإسلام الصافي والصحيح وصد هجمات المستشرقين والمنصرين، وبيان منهج دعوة غير المسلمين لبيان ما وقع في كتبهم من انحراف ودعوتهم للإسلام.